الجديد الموجع

إن العالم الغربي الصناعي لم يعد يحترم حضارة لا تعتمد الصناعة، ولا الإنسان الذي يمارس الزراعة دون الصناعة، تقييم جديد للحضارات وأهلها وما قدمت أو تقدم.

إن الغرب يضغط بكل قوة كي لا ترتفع أسعار النفط، وقد كانت الشركات الغربية تأخذ النفط العراقي وتدفع (٥) بنسات عن البرميل، ويتعالى الصراخ والعويل إذا جاوز برميل النفط (٥٠) دولارًا في حين تكسب الدول الغربية (٢٠٠) دولار من كل برميل عن طريق الضرائب ونتهم نحن (الغلابة) بالجشع ورفع سعر النفط. قبل حوالي ثلث قرن كنت أشتري السيارة الجديدة بحدود (٢٠) ألف ريال، الآن سعرها يتجاوز (٨٠) ألف ريال.

الشركات الغربية تصنع الأدوية فاشتري (بلافكس) غربي بقيمة (١٠٨) آلاف دينار عراقي - أكثر من ١٠٠ دولار - ومثله الهندي بـ (٨) آلاف دينار.. في زيارة لجنوب أفريقيا - في الثمانينيات - لاحظت أن المنتوج الزراعي ومثله الحيواني بسعر التراب، دولار واحد أشتري به أكثر من نوع من الفاكهة، وعدد من الكيلوات، أما اللحم فسعر الكيلو دولار واحد، سألت رجلًا من البيض: ما هذا؟! فقال: كل بضاعة ينتجها الإنسان الأسود فسعرها (عدم) حتى أجور العمل للسود حددت الحكومة سقفها وتمنع تجاوزه.

والجديد أن الغرب ينقل صناعته من بلده إلى بلدان العالم الثالث نظرًا لوفرة اليد العاملة ورخصها الكبير.

بالأمس كانت دول الغرب تبعث (المبشر الديني) ثم تتبعه بجيشها الاستعماري وتلحق الكل بشركاتها التي لا تشبع.

ذات يوم أصابت (صحوة ضمير) المعلم سارتر - ملك الوجودية فصرح: إن كل ما في الغرب من جامعات وشوارع وموانئ وعمران ورفاه كان بسبب وبفضل الاستعمار وما قام به من نهب لخيرات الدول والشعوب التي استعمرت؛ لذا فالكل شريك في هذه الجريمة، واليوم يحكم الغرب (اللعبة) فيسند هذه السياسة إلى هيئات دولية كالبنك الدولي والجات وعشرات المؤسسات ومهمتها أن تجعل السرقة والنهب يأخذ صفة (شرعية) لا يمكن لأحد الاعتراض عليها، إذا رضيت عنك أمريكا تنهال عليك القروض والمساعدات، وإن غضبت ضربت عليك الحصار والعقوبات، والويل لمن كفره النمرود!

أكبر خلل وأعظمه

اليوم يشهد العالم كله حصول أكبر خلل فـ ٢٠٪ من أغنياء العالم يملكون ٨٠٪ من ثروته، والباقي للباقي.

ما يقارب (٣٠٠) من أغنياء العالم يملكون أكثر ما يملكه (ثلث) العالم..

حضـارة اليـوم تصنـع (التخمـة والمجاعة وفقـر الدم)، الإنسـان في الغرب متخم يبحث ليل نهـار عن (رجيم) وملايين تعيش تحت خط الفقر، وتبحث عن لقمـة بين أكداس النفايات، إنها حضـارة (الغول والتغـول) حضارة النهـب والسلب وإسناد الحـكام الفاسديـن، وأعظـم بهـا حضـارة وثـروة! وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ (الأعراف: ٥٨).

حضارة مادية تنتج عيشة نكدة، تدفع بعض أهلها للانتحار رغم التخمة...

أهؤلاء هم قادة العالم، فإلى أين المصير؟

الغرب يعشق الصراع

مـن يدرس الغـرب وحضارته والغـزو الاستعمـاري لكافة القـارات والحكم الدموي الذي فرض، مع احتقار لكل حضارات العالم وأهلها سيصل لما وصل إليه زكي ميلاد وتركي الربيعو[1]: مـا لم يغير الغرب من نظرته لذاته فلـن تتغير أو تتطور علاقته بـالأمم والحضارات الأخرى، وهذه النظـرة لن تتغير إلا بوجود رؤيـة فلسفيـة تعيد تشكيـل (الـذات الفلسفية) للغـرب، الذي يعتقـد أن النـزاع والصدام هما من يوفر لـه (حوافز التحدي) للتقدم والتطور، وأن يضع أمامه (عدوًا) ليضمن لذاته التنافس الخارجي، مع التماسك الداخلي... ا.هـ.

(١) الإسلام والغرب ص (١٠٩) طبعة أولى.

د. نعوم تشومسكي يذهب لأبعد من ذلك إذ يرى[1]: أن الأوروبيين يحاربون بهدف (القتل)، وكان لديهم من الوسائل ما مكنهم من إرضاء (شهوة الدم) عندهم... ا.هـ.

والشاهد هو دموية الحروب الأوروبية الطويلة الدامية، وخلال القرن العشرين أشعل الأوروبيون حربين كونيتين، قدر المستشار بريجنسكي ضحاياها بأكثر من (١٧٦) مليونًا من البشر، هذا غير الذين ماتوا بسببها أو منفيين أو هلكوا في السجون والمعتقلات.. ومع ذلك فهناك (عميان) ما زالوا يغنون منذ أكثر من ألفي عام متصلة: (من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر...)؟

الغرب يُسقط دمويته على الإسلام

طارق بنوري[2] - المدير التنفيذي لمعهد دراسات الإنماء السياسي في باكستان - يلاحظ أن الغرب يسقط ما عنده من عنف ودموية على الإسلام وأهله، ويقول: الكتاب الغربيون يواصلون تقديم الإسلام على أنه (مرادف) للأصولية والإرهاب، وهذه الكتابات تنطلق من شعور عميق بعداء يكمن في اللاوعي يصور الإسلام (جسد) والغرب ثقافة، والإسلام

(١) المرجع السابق ص (١٥).
(٢) موقع الإسلام من صراع الحضارات، محمد السماك ص (٣١١).

طبيعـة، في المحصلة يظهر الإسلام كأنه مثير للغضب والهيجان والعنـف والإرهـاب، وهذه كلهـا غرائز جسدية، تحتـاج - وفقًا لمفهوم العنصرية - إلى التدجين... ا.هـ.

ونسـأل القوم مـن أشعل حروب أوروبا، ومـن المسؤول عن الحربين العالميتين الأولى والثانية؟

من السقطات والإسقاطات

في الأعم الأغلب المستشرق لديه أحكام مسبقة حين يبحث يكون همـه الأول الحصول على دليل يسنـد قناعته فإن لم يجد وعـز عليه الطلـب فلا مانع من (التلاعـب بالنص) ولوي عنقه وتفسيره بما لا يحتمل..

مـن هـذه الطينة جوليـان في مؤلفـه (العنصـري) تاريخ فرنسـا، حيث يقول[1]: إن محمدًا مؤسس دين المسلمين، قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه.

ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين والنصارى؟!

فمـا رأي المستشـرق العظيـم بقوله تعـالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١/١٢٨.

ومن أقام محاكم التفتيش السيئة السمعة والصيت؟

وما مصير عرب الأندلس والهنود الحمر والأفارقة؟

ومن استعمر القارات كلها، ونهب خيراتها، وسفك دم شعوبها، وما يزال يمارس اللعبة المحببة؟ آه لو ذات سوار لطمتني!

اختراع الأعداء ليستمر الصراع

هنري كيسنجر ملك العنصرية والطائفية في العالم يلقي خطابًا بصفته وزيرًا لخارجية أمريكا، يلقيه عام ١٩٩٠م أمام المؤتمر السنوي لغرف (التجارة الدولية) جاء فيه[1]: الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتها هي (العالم العربي والإسلامي) باعتبار هذا العالم هو (العدو الجديد للغرب)... ا.هـ.

المؤرخ التركي كيريا بخيل قام بدراسة ما بين عام ١٧٩٨ - ١٩٥٣م فقد تعرض (العالم الإسلامي) إلى (٣١٨) هجومًا عدوانيًّا من الغرب، علمًا بأن العديد من الدول العربية والإسلامية كان وما زال حليفًا للغرب.

تجربة من العراق

بعد سقوط بغداد وانتداب (بريمر) هولاكو رقم (اثنين) لحكم العراق ابتعد السنة واعتبروا (أعداء)، وكان (بريمر)

(١) موقع الإسلام من صراع الحضارات ص (١٧).

حاكمًا، سئل عن سبب إقصاء السنة وتهميشهم لا يزيد عن القول: من يقاتلنا في العراق غير السنة؟

وبعد جهود كبيرة مضنية تقدم السنة للمشاركة لكنهم بقوا يحتفظون بصفتين متناقضتين (حليف وعدو) حليف؛ لأنه شريك، وعدو يجب إفشال جهوده وإلحاق الهزيمة بكل مشاريعه..

العرب مارسوا (هذه اللعبة) خلال الحرب العالمية الأولى فتحالفوا مع الغرب ضد إخوانهم الأتراك، وقاتلوهم مع الجيوش الغربية، فكافأهم الغرب أعظم مكافأة حيث قسمت بلادهم واستعمرت وجاءت معاهدة (سايس بيكو) لتوزيع (التركة)..

وضع فريد (حليف) يحارب إلى جنبك وتعده (عدوا)..

وهكذا فعل ويفعل الغرب، ويقوم كيسنجر (ملك العنصرية) ليغني للغرب: عدوكم الأول العرب ولو تظاهروا بزي الحليف.. وكلما (غصت أمريكا بلقمة سارع) العرب بصب (النفط) كي تتعافى أمريكا، فنحن (الصديق العدو)[1] دومًا وأبدًا، ومن يجادل في هذا فليسأل بوش وحكومته: ما جريمة العراق حتى استحق أن تحطموه وتعودوا به كيوم ولدته أمه في الحرب العالمية الأولى؟

(١) للكاتب كتاب متواضع عنوانه: (الصديق اللدود) ظل يقاتل سنة كاملة كي ينشر ويطبع وكان يقال له: أنت تهاجم أمريكا حليفتنا؟!

نحن والصديق اللدود

من حقنا وحق غيرنا في العالم كله أن ينقد الغرب وحضارته، طالما أن أصحاب هذه الحضارة يفرضونها على العالم بكل الوسائل؛ لذا من حقنا نقد هذه الحضارة ونقد إنسانها.. د. عبدالوهاب المسيري له مشروع ثقافي يعالج (التحيز) في العلوم والمعارف والسياسة، وقد كتب[1]: إدراكنا (للتحيز) لن يجعلنا نسقط في (العدمية الفلسفية)، فنعلن انتهاء العلم والتاريخ، نحن نؤمن أنه لابد أن يواكب كل آليات تجاوز (التحيز) صياغة نموذج (معرفي بديل) يستفيد من العلم الغربي، ومن كل العلوم والتجارب الإنسانية، وينطلق في ذات الوقت من (تراثنا) حتى يمكن (توليد) معارف وعلوم جديدة، نحقق بها إمكاناتنا الإبداعية التي حبانا الله بها، وكرمنا بها كبشر..

بمعنى آخر يجب أن لا تكون جهودنا (تفكيكية) فحسب، تكتفي برصد (تحيزات الآخر) بل يجب أن تصبح تأسيسية فتطرح نموذجًا (بديلاً)، فإذا كان اكتشاف النموذج الكامن في خطاب الآخر عمل شاق، فتطوير البديل أكثر صعوبة، حيث لا يمكن إنجاز البديل إلا من خلال تضافر جهود جماعية متكاملة تتم على عدة مستويات، وذلك من خلال رصد وتصنيف النقد

(١) العالم من منظور غربي، ص (٢٨٤) كتاب الهلال طبعة ٢٠٠٠م.

التراكمي، حتى تتحدد الأنماط العامة الجديدة التي يتم مراكمة المعلومات في إطارها، كي تتحدد الملامح الأساسية للنموذج البديل... ا.هـ.

سيقول البعض: هذا حلم صعب التحقيق، وأذكر بمثل واحد، جهودنا العامة في ضبط الأمن ما تزال متعثرة في أكثر من بلد، لكن أمن الرؤساء والكبار يسير وفق إبداعات متوالية ونجاح متواصل، سمعت من رجل أمن عربي كبير يقول: حضرنا تجمعًا للأمن الخاص بالكبار، وراح المتحدث يتكلم عما سنراه من وسائل الإبداع، واشتغل جهاز الفيديو، فإذا (صدام حسين) هو النموذج عالي الجودة، تحيط به جماعة كزهرة تفتح وتغلق وفق نظام دقيق.

ألاحظ كغيري: الجرائم السياسية تكتشف في أقرب الأوقات، أما الجرائم العادية فتسجل عادة (ضد مجهول)، حتى شاعت نكتة رائعة - على لسان الشرطة -: قبضنا على (الجثة) والجاني هارب!

اليابان والصين والهند وماليزيا وغيرها طورت لنفسها نماذج، فلماذا كتب علينا أن نقلد، ونقلد نموذجًا بعينه دون سواه؟!

نحن والإمبريالية

أسارع للقول: العنوان ليس لي، بل لرجل علم ومعرفة درس في الغرب وتخرج في جامعاته ودرّس فيها، إنه أ.د. عبدالوهاب المسيري.

سيصرخ ناس لقد شبعنا من سب الاستعمار والإمبريالية، كان ذلك هو (تسبيح الشيوعيين) سبعين عامًا ثم ماتت الماركسية بالسكتة القلبية والدماغية معًا، فهل تريد أن تذكر بذلك الصخب الذي صك آذان العالم، ليتحولوا بين يوم وليلة إلى عاشق متيم بالغرب وأمه أمريكا؟ أم تريد أن تذكرنا بذلك الهراء المقزز من أحزاب عربية اشتراكية يقودها أميون أو عسكري فاشل، هرب من العسكرية لفشله ليسرق السلطة ويعلن نفسه الزعيم الأوحد أو الأخ القائد الملهم أو البطل المحرر، لقد كانوا أبطالًا علينا وهم (نمور) من ورق.

بعد هذه المقدمة المتواضعة أعود للأستاذ المسيري يرحمه الله فهو يكتب[1]: يجب أن ندرك أن (الإمبريالية) الغربية قد حطمت كثيرًا من أبنيتنا الحضارية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، كما قامت بنهب بلادنا، وكذلك بقية العالم، وهي لا تزال تتدخل في شؤوننا من خلال أذرعها المختلفة ابتداءً من

(١) العالم من منظور غربي ص (٢٨٥).

(وكالة الاستخبارات الأمريكية وانتهاءً بمؤسسات هيئة الأمم، ومرورًا بالدولة الصهيونية)، ودون هذا (الإدراك) فإن اليأس سيدب في نفوسنا، ونبدأ في لوم الذات وجلدها، لكن يجب أن لا نقف عند هذه النقطة فقط، بل علينا أن ندرك أنها ليست نهائية، ويمكننا أن نلحق الهزائم بهذه (القوة اللاعقلانية) كما حدث في (فيتنام) وكما حدث لإسرائيل (ممثلتها) في المنطقة عام ١٩٧٣م، وخلال الانتفاضة وفي لبنان أخيرًا، فقوتهم ليست مطلقة..

كما يجب أن لا ندعي أن (الغرب) مسؤول عن كل ما حدث لنا، فعوامل الانهيار والتفكك كامنة في مجتمعاتنا قبل وصول الغرب.

علينا أن نتحدث عن (القابلية للاستعمار) فالله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - كما جاء في سورة (الرعد: ١١).

إن بعض أبنائنا له لعبة مفضلة: يجلدنا ليل نهار، يضع كل العيوب فينا - ربما - دفاعًا عن العم سام، الحليف والمعشوق.

إنه يحفظ قاموسًا للشتم لا يترك عقيدة ولا دين ولا حضارة ولا ثقافة لنا إلا هاجمها، وكلما قال شخص كلمة قال: وأنتم ماذا فعلتم وأين وجودكم؟! قال شخص للإمام علي كرم الله وجهه: لقد توليت الخلافة فلم تحقق لنا شيئًا، على حين نجح من سبقوك نجاحًا كبيرًا فما السبب؟

قال الإمام: حين حكم من سبقوني كنت أنا جنديًا في جيوشهم، فلما توليت الخلافة صرت وأمثالك جنودنا!

قضية مماثلة: كان الحجاج -ملك الاستبداد والطغيان- يسير خارج مدينة الكوفة، فلقي رجلًا فسأله: ما قولك بأمير المؤمنين؟ فأجاب: ظلوم غشوم، فقال الحجاج: ما قولك في أميركم الحجاج؟ أجاب الرجل: وهل الحجاج إلا سيئة من سيئات أمير المؤمنين؟

في إسرائيل نجانا الله من عنصريتها مقولة: كل مشكلة في إسرائيل فلها الحل في واشنطن!

وكلما وقعت أمريكا في (حفرة) سارع - حكام عرب وغيرهم - لإخراجها قبل غروب الشمس، ومع ذلك فنحن الأعداء في نظر بريمر وكيسنجر، ولعنة الله على الظالمين والفاسدين وكل العنصريين.

الحلم بنظرية شاملة

كل حضارة تحلم أن تكون لها نظرية شاملة تفسر بها ما تلاقيه في الحياة، والدكتور المسيري يسجل هذا الحلم قائلا[1]: لابد أن نطمح للوصول إلى نظرية شاملة وكبرى... ولقد اكتشف

(١) العالم من منظور غربي ص (٢٩٤).

الإنسان الغربي استحالة مشروعه (المعرفي) فانتقل من الاستنارة والتحديث إلى مرارة (الحداثة)، ومنها إلى عبثية ما بعد الحداثة (الاستنارة المظلمة)...

بالنسبة لنا لا يوجد سبب لنتأرجح بنفس الطريقة، ما بين النظرية والحلول النهائية (من جهة) والعبثية والعدمية الكاملة من جهة أخرى.

وسنحاول الوصول لنظرية شاملة كاملة، نعرف مسبقًا أنها لن تصل لتفسير نهائي ولا ليقين مطلق، نظرية كبرى شاملة (نسبيًا)، أو في حدود ما هو ممكن إنسانيًّا... ا.هـ.

الناس يحلمون وحتى الآن لم تصادر الأحلام، وربما جاء اليوم الذي يحدد فيه (سقف للأحلام) ومن تعداه يحشر في قائمة الإرهاب وأهله، وربما يدخل في البند (السابع) الذي دخله العراق ولم يخرج بالرغم من خروج الأرواح يوميًا، والبقية في حياة هيئة الأمم، ومن يعبثون فيها، فيحق فيهم قول البدوي العراقي الذي التبس عليه (القانون)، فقال: والله عجيب يا قانون يحكمون باسمك بالنهار، ويتلاعبون بأوتارك وألحانك بالليل!.

الانطلاق من الإنسان

ما زلت مع د. المسيري في أحلامه، فيجعل منطلقه من الإنسان[1]: إن الإنسان يقف في مركز (الكون والطبيعة) فهو كائن فريد مركب، لا يمكن رده في كليته إلى ما هو دونه (الطبيعة/ المادة)..

ومن أهم علامات تميز الإنسان وتفرده (عقله) الذي لا يسجل الطبيعة بشكل (سلبي) وحسب، وإنما يعيها ويتفاعل معها بشكل جيد، أي أن عملية (الإدراك) ليست عملية تسجيل (بلهاء)، بل عملية (اختيار) ولكل هذا فإن الإنسان يتمتع بقدر من الاستقلال عن القوانين الطبيعية، وبقدر من (الحرية) إذ يمكنه النظر والتدبر، ثم الاختيار الأخلاقي (الحر المستقل) عن قوانين الحركة المادية، وهو قادر على الممارسة التي تستند لهذا الاختيار. فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يبحث عن (الغرض من وجوده) في الكون، وهو يرفض (تسطيح الأشياء)، إنه يطور المعاني الداخلية والرموز واللغة الحية، فرغم وجود (إنسانية مشتركة) تجمع بني البشر، إلا أن الإنسان لا يخضع لبرنامج (بيولوجي) وراثي واحد عالمي (مثل بقية الكائنات) فهناك هويات ثقافية مختلفة، وإرادات جمعية وفردية مستقلة، والإنسان الكائن القادر على إعادة (صياغة ذاته وبيئته) وفق

(١) العالم من منظور غربي ص (٢٩٧).

وعيه الأخلاقي الحر، وهـو الكائن القادر على ارتكاب الخطيئة والذنـوب والقادر على التوبة والعودة، وهـو القادر على الصعود والهبـوط، وعلـى النبل والخسـة، فممارساتـه ليسـت انعكاسًا بسيطًـا أو مركبًـا لقوانين الطبيعة، فهو مختلـف جوهريًا وكيفًا عـن الظواهر الطبيعيـة، ويشكل ثغرة معرفية كـبرى في النسق الطبيعـي المادي، إنه ليس جزءًا لا يتجـزأ من الطبيعة، بل جزء يتجـزأ منها، يعيشـ فيها، ويعيشـ عليها، يتصل بهـا وينفصل عنهـا... إنـه قـادر دائمًا علـى تجاوزها، ولكل ذلـك فهو مركز الكون وسيد المخلوقات... ا.هـ.

الإنسـان يملك الـروح والعقل والعاطفـة والغريزة، فلماذا يتحدث الغرب عنه كحيوان (هائج الغرائز)؟

الإنسان والتكريم الإلهي

لقـد كـرم الله الإنسـان فقـال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

هـذا التكريم (لبنـي آدم) يشمل الصغـير والكبير، العالم والجاهل، وهـو لكل من يحمل هذه الصفة (من بني آدم)، ومن كرّمه خالقه فليس من حق أحد أن يهينه إلا إذا ارتكب ما يوجب العقاب، ومن صور التكريم:

١- اختيار رسل الله منه، وهم صفوة الخلق وتحميلهم رسالة السماء إلى البشر، وقد عرفت البشرية منهم الكثير ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر: ٢٤).

وقريبًا من الأنبياء يأتي الشهداء، وهم من صفوة البشر.

٢- لقد سخر الله الكون لخدمة الإنسان ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (لقمان: ٢٠).

وبفضل هذا التسخير صار الإنسان سيدًا مكرمًا، له العقل والإرادة، لكن بعض النظم (المادية) جعلته (دابة همها العلف)، والبعض جعله حيوانًا همه الأول إشباع بطنه وغريزته، ألهذا خلق الإنسان وكفى؟!

٣- خلق الله الإنسان في أفضل صورة ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين: ٤).

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ (التغابن: ٣).

٤- أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم أبي البشر ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ (الأعراف: ١١).

٥- جعل الله آدم خليفة في الأرض ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة: ٣٠).

٦- جعل الله للإنسان عقلاً وإرادة، وهو المخلوق الذي يفكر ثم يقرر، يبتدئ جاهلًا ليموت وقد صار عالمًا كبيرًا.

٧- منع الله تعالى الاعتداء على الإنسان: نفسه وماله وعرضه، مهما صغر الاعتداء، حتى يرتكب ما يوجب العقاب فيعاقب الجاني في حدود جنايته، ولا يتعداه.

يقول الفضيل بن عياض[1]: والله ما يحل لك أن تؤذي كلبًا ولا خنزيرًا - بغير حق - فكيف تؤذي مسلمًا؟

استخلاف الإنسان

ذكر الله تعالى استخلاف آدم فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠ - ٣٣).

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٧/ ٣٩٤.

تستوقف الدارس للآيات السابقة أمور منها:

١- أن الله تعالى يبادر الملائكة في كونه يريد نصب خليفة في الأرض، وهذا أمر غير مألوف فالله تعالى خالق الكون والمتصرف في أمره، فما هذا (الجعل) وماذا يعني بالنسبة للملائكة؟

٢- الله تعالى لم يذكر اسم الخليفة، فكيف عرفت الملائكة اسم (المرشح) وكيف راحت تهاجمه وتتهمه بتهمتين كبيرتين (الإفساد في الأرض وسفك الدماء)؟

٣- هل استنتجت الملائكة من (العرض) أنها مستبعدة من الاستخلاف؛ لأن الموجود هي وآدم، وإذن فهو المرشح؟

٤- كيف توصلت الملائكة إلى كون آدم وذريته مفسدين في الأرض ويسفكون الدماء؟ هل كان هذا نتيجة مراقبة لآدم وسلوكه؟ فوجهوا تهمتين له ولذريته من بعده؟

٥- إن الملائكة تعرض نفسها للاستخلاف وتبرره بكونها لا يصدر عنها سوى العبادة والتسبيح، بينما آدم وذريته مفسدون ويسفكون الدماء؟

٦- يأتي الرد موجزًا (إني أعلم ما لا تعلمون)؛ لذا ليس من حقكم أن تقفوا هذا الموقف، وسأثبت لكم ذلك بالبرهان العملي.

٧- كان البرهان نوع من الاختبار والامتحان - في لغة اليوم - فعرض الله تعالى (الأسماء) البعض من المفسرين يعتقد أنها أسماء الأشياء: هذا جبل وهذا نهر، وهذا نهار وذاك ليل.

هذه (مواد الاختبار) تعرض على الملائكة وعلى آدم، والمطلوب تذكرها وعدم نسيانها.

نسيت أن أذكر أن جملة من المفسرين لكتاب الله يعتقدون أن الله عرض (اللغات)؛ لذا قالوا: مصدر اللغات توقيفي وليس من اختراع البشر.

٨- من خلال العرض يحصل مفهوم: إن الإنسان نظرًا لقدراته الكبيرة على التعلم فهو الأصلح بعمارة الأرض.

٩- فإن صح هذا الاستنتاج يكون الإنسان المتعلم هو المؤهل للاستخلاف أما من يعش أميًا جاهلاً متخلفًا فليس أهلًا لذلك؛ لأنه لا شيء عنده يقدمه، بل قد يعيش عالة على غيره، أو على هامش الحياة.

هذه قضايا استوقفتني وأنا أتأمل آيات الاستخلاف.

١٠- أبني على ما تقدم: أن من مهمات الإنسان الأساسية الكبرى عبادة الله تعالى وعمارة الأرض..

العبادة الصحيحة السليمة المقبولة تقوم على (النص الصحيح) أما عمارة الأرض فتتطلب معرفة دقيقة لآخر ما عرفه العالم من علوم ومعارف مع حسن استخدام.

أما العبادة فتقوم على النص الصحيح والبعد عن الابتداع، وإذا كانت العبادة لا تصح إلا بالاتباع، فالعمارة تتطلب (الإبداع) بل ربما الإبداع اليومي، ومن يقلد في الحضارة سيبقى طوال عمره (زبونًا).

وللأسف الشديد لقد عكسنا الأمر فرحنا نبتدع في العبادة، ونقلد في الحضارة، فلا سلمت لنا العبادة ولا كسبنا (التحضر)! مفارقة كبيرة، بل كبيرة جدًا.

وقفة مع آيات البقرة

يرى سيد قطب[1] - يرحمه الله - أن الله تعالى يريد أن يسلم للمخلوق الجديد (آدم) زمام هذه الأرض، وإطلاق يده فيها، يبدع فيها عن طريق التكوين والتحليل والتركيب والتحوير والتبديل وكشف طاقات وكنوز هذه الأرض وتسخير كل ذلك في المهمة الملقاة على آدم وذريته.

إن منزلة الإنسان في الوجود منزلة عظيمة، والسؤال: من أين علم الملائكة أن آدم مفسد، ويسفك الدماء، وهو لم يفعل شيئًا بعد؟

ويجيب قطب: إنه ربما كان لديهم من شواهد الحال أو من تجارب سابقة في الأرض، أو من الإلهام، بحيث كشفوا عن

(١) في ظلال القرآن ١/٦٧.

شـيء من فطـرة آدم وذريته.. أما هم فبفطرتهـم البريئة التي لا تعـرف إلا الخير المطلق، والسلام الشامـل، يرون أن التسبيح والتقديس لله تعالى، هو الغاية (الكليـة للوجود)، وعلة الخلق، وكل هذا متحقق بوجودهم، وليس بوجود آدم وذريته.

لقـد خفيـت علـى الملائكـة الحكمـة العليـا مـن (عمارة الأرض) وتنمية الحياة وتنويعها وكذلك تطويرها وترقيتها، وكل ذلـك يكون على يد خليفـة الله في أرضه، إنه المرشح لذلك، وإن كان يفسـد أحيانًا ويسفك الدماء أحيانًـا، وخلف هذا (الفساد والشـر) خير أكبر وأشمل، حيث النمـو الدائم والرقي المستمر، خير الحركة التي تهدم لتبني، والتطلع الذي لا يقف، مع محاولة التغيير، وقد جاء (الرد) ليس بنفي الفساد، بل: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

هنـا نحن أولاء نشهد طرفًا من ذلك السر الإلهي العظيم، الـذي أودعـه الله هـذا الكائـن البشري، وهـو يسلمـه مقاليد (الخلافة) سـر القدرة على الرمـز بالأسمـاء للمسميات، سر القـدرة على تسميـة الأشخاص والأشياء بأسمـاء يجعلها، وهي ألفاظ منطوقـة، رموزًا لتلـك الأشخاص والأشيـاء المحسوسة، وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ إنه التكريم في أعلى صوره، لهذا

المخلوق الـذي (يفسد) في الأرض و(يسفك الدماء) ولكنه وهبه من الأسرار ما يرفعه على الملائكة، لقد وهب (سر المعرفة) وسر الإرادة المستقلـة، التي تختار الطريق، إن ازدواج طبيعته وقدرته على تحكيم إرادته في شق طريقه واضطلاعه بأمانة الهداية لله، بمحاولاته الخاصة، وهذا بعض أسرار تكريمه... ا.هـ.

الأديـان عمومًـا والإسـلام علـى وجـه الخصوص، كرّم الإنسـان أعظم تكريم. أما حضارة اليوم فتقف بعيدًا، فالإنسان (حيـوان) والتشابه بينهما كبير - خصوصًا حين يجري التركيز على الغرائز - وتغفل أوجه الاختلاف.

د. عبدالوهـاب المسـيري يناقش ذلك بدقـة وعمق تحت (مقولة غير مادية).

مقولة غير مادية

يركـز الغرب علـى ثنائيـة (الإنسان والطبيعـة) ويصفها د. المسـيري بكونهـا (ثنائيـة واهيـة)[1]: يمكـن تصفيتها (بل تجـب تصفيتها) لتسـد كل الثغرات (التي تفصـل الإنسان عن الطبيعة) لتسود الوحدة والواحدية (المادية) ومن هذه الواحدية الماديـة (نبع العلم الغربـي) وهو لا يفرق - في نهاية الأمر - وفي التحليـل الأخير بـين الإنسان والقرد أو أي كائـن آخر، إنه يهتم

(١) العالم من منظور غربي ص ٢٩٩.

بنقـط (التشابه) بينهمـا أكثر من اهتمامـه (بنقط الخلاف)، فمـا يجمعهما هو النظام الطبيعي المادي الذي ينطلق منه (العلم الغربـي)، أما ما يفرق بينهما فهـو (الثغرة المعرفية) النابعة من إنسانيـة الإنسان وتفرده داخل النظام الطبيعي، والتفسير المادي للأمـور، فيلجأ لسـد الثغرة المعرفيـة في النظـام الطبيعي، وإلى تصفيـة ظاهرة الإنسان؛ لأنه تفسير غـير قادر على استيعاب أي (ثنائية أو أي تركيب) يتحدى النظام (الواحدي المادي البسيط).

لكن ليس هنـاك أي ضرورة لرفض مقولة الإنسان المركبة التـي لا تـرد إلى (المـادة) خصوصًـا وأنهـا جزء مـن تجربتنا الوجوديـة وإدراكنـا (لذاتنـا)؛ لـذا بدلًا مـن تصفيـة الثنائية - بحثًـا عـن البساطـة والواحديـة - قد يكـون مـن الأمانة أن نستدعي (ثنائية أخـرى) ذات مقدرة تفسيرية وحسب، تفرض (الواحديـة) علـى الواقـع وتسـوي الإنسـان بالطبيعـة، يمكن استخـدام مقولات تفسيرية ماديـة - غير مادية، كمية - كيفية. مستمـدة من النظام الطبيعي ومتجاوزة له في ذات الوقت، ومن ثـم يمكننا التعامل مـع ظاهـرة الإنسـان في كل تركيبيتها، من جانبيهـا المادي وغـير المادي... أي نستدعـي مقولة غير مادية، هـذه المقولة هي ما يطلق عليه المؤمنون (الله)، فهو مركز الكون الموجـود (خارج المادة)، وهو الأقرب إلينا من حبل الوريد، يعني بدنيانا وبمسار التاريخ، لكنه ليس كمثله شيء، ووجوده هو تعبير

عن وجود كل من الطبيعة ومـا وراءها... ووجود الإنسان يستند كليًا (إليـه)، فكما أسلفنا يصير الإنسان (مركز الكون) بسبب تميـزه وتفرده ووجوده (كثغرة) في النظام الطبيعي، ووجود الله تعـالى هو (ضمان) أن لا تسد هذه الثغـرة وأن لا تصفي ثنائية الإنسان والطبيعـة، بل تظل (مقولة تفسيرية غير مادية) تشكل (ثنائيـة كبرى) هي ثنائية (الخالق والمخلوق)، وعنها تتفرع كل الثنائيات الأخرى... وهكذا يخـرج الإنسان من عالم الحتميات الطبيعية التي تسود عالم الأشياء... ا.هـ.

لقـد رفع الله الإنسان إلى أعلى منزلة، فنفخ فيه من روحه وكرمـه أكـبر وأعظم تكريم، ومـن يحاول الهبوط بـه إلى درك الحيـوان، ويركز على غرائزه الدنيا، ووصفه بأنه ذئب، ومن ثم فإنـه يحتقره، ويستهـين بقدراته، وقد يمارس ضـده أنواعًا من التعذيـب يجعله يتمنى الموت، أو يتحـول إلى (مارد جبار) يهدم البيت على أهله ونفسه - كما فعل شمشوم -.

وأخـيرًا الإنسان باني الحضـارة، ومعمر الأرض، وهو قادر علـى هدم ما بناه، وأن يتحول مـن معمر كبير إلى مخرب أكبر، لديـه الاستعـداد ليرتفـع إلى مصـاف الملائكة، والهبـوط إلى درك الشياطين، ومـا دام كذلك فهل المصلحة في تهييج غرائزه والتأكيد على عنصريتـه؟ أم المصلحة في دفعه نحو أخوة حانية بانية تقول له: «كلكم لآدم وآدم من تراب» وأن الأفضل هو الأتقى وليس الأقوى.! وأن الخلق عيال الله أحبهم إليه أنفعهم لعياله.

وأن نكـرر - دون ملـل - ارحمـوا من في الأرض يرحمكم من في السمـاء.. وأن الظلم - متى دام دمر - وهو عدو الإنسان ومدمر الحضارات.

الاستنجاد بالتراث

د. المسيري وهو يبحث عن مشروع بديل يستنجد بالتراث[1]، فـيرى فيه نموذجًا بديـلاً نابعًا من حياتنا، وهـو يحاول تحديد مصطلح التراث فيراه يتكون من مجمل التاريخ الحضاري الذي يتسـع للإنجـازات المادية والمعنويـة للإنسان في هـذه المنطقة، ويشمـل المكتـوب وغـير المكتـوب، ونـواة النمـوذج الحضـاري الإسلامـي هـي التنوع المعـرفي والأساس فيـه القـرآن والسنة، ويحويـان القيم الإسلاميـة المطلقة، والإجابـات الإسلامية عن الأسئلة النهائية، وكلها قيم وأسئلة وإجابات ليس من اختصاص العلـم، وقد نبعت حضارتنا من هـذه (القيم) ويمكن محاكاتها من منظورها، والفقه الإسلامي يشكل (محاولة) الأسلاف لفهم قواعـد هذا النمـوذج المعرفي في (بعده الدينـي)، ومثله كتابات المفكرين مـن مسلمين ومسيحيـين ويهود، وهـي محاولة لفهمه في بعـده الحضـاري، والإبداع داخل هذا الإطـار والانطلاق من الـتراث لا يعني تحويله إلى نوع مـن (الأنتيكة) والزخارف التي نـزوق بها خطابنا التحليلي؛ لذا فهـو لا يعني (التقليد الحرفي)

(١) العالم من منظور غربي ص ٣٠١-٣٠٥.

لاجتهادات المتقدمين، بل يعني استخلاص القواعد الكامنة في إبداعاتهم، ثم استخدامها في إعادة قراءة (تراثنا الحضاري) ومواجهة حاضرنا، وتوليد أسئلة عن واقعنا، وحلول لمشكلاتنا... وتصورنا وجود صوت عربي إسلامي (مستقل) ونماذج معرفية، قد تتفق مع النماذج المعرفية السائدة، وقد تختلف معها وعنها..

وهذا لا يضمر أي إنكار لقيمة الحضارة الغربية، ولا يعني إنكار أهمية كثير من الاكتشافات الغربية، فكثير من هذه له صفة (العالمية) بالفعل؛ لذا لا نرى وجهًا للحرج في استخدام هذه (المكتشفات) في أي بناء نظري يخصنا، فكل ما نراه (صحيحًا وذا قيمة عالمية) هو بعض المفاهيم، ولكن هذه المناهج استخدمت المفاهيم التي نقبلها أو نرفضها في أنساق أو في نظريات كلية، هذه (الأنساق الخاصة) هي التي (تصدر إلينا) جاهزة (تسليم مفتاح) بوصفها (علمًا عالميًا) قابلًا للتشغيل المباشر (عندنا)، وهو الأمر الذي (يصعب قبوله) نظرًا لأنه يتنافى مع الروح العلمية الحقة للاجتهاد.

نريد فصل (الحداثة) عن الاستهلاكية، نريد فصل مفهوم (التقدم) المادي والفردية المطلقة..

إن المفهوم المادي للتقدم جعل الهدف من (الحياة) هو الاستهلاك، الذي يجعل من أفق الإنسان (لذته وسعادته

وفرديته المطلقة) فهذا التوجه الاستهلاكي يدمر الإنسان والعالم، ويجعل من (السلعة) محور اهتمام الإنسان، بدلًا من أن تكون إنسانيتنا المشتركة هي محط اهتمامنا..

معلوم أن ارتباط الحداثة بالاستهلاكية والفردية المطلقة هو مما يساعد على إشاعة (النموذج المعرفي الغربي)، كذلك فهو الذي أدخل العالم في هذا السباق المخيف، كما يؤدي لهدم الخصوصية... ا.هـ.

من يدرس النماذج الحضارية فسيجد نوعًا من الاتفاق والاختلاف، فالنظام الاجتماعي في الإسلام بعيد عما تتبناه الحضارة الغربية وتحاول تعميمه، وأنا أكتب عن (اليابان) وتجربته في النهوض وجدت اليابانيين درسوا الأنظمة الغربية دراسة واعية، فقرروا نقل النظم السياسية والاقتصادية، ورفضوا النظام الاجتماعي، بعد ذلك قاموا بحملة توعية وتعريف استمرت سنوات، ولما باشروا بتطبيق الأنظمة الغربية، ظهرت فيهم الأمراض التي ضربت الغرب، ضمن مفرزات النظام السياسي الرغبة في استعمار البلاد المجاورة، حتى استعمرت أوروبا كل دول العالم، ودخلت بسبب ذلك في حروب طاحنة.

اليابان عاشت في عزلة تامة داخل حدودها، وبعد الأخذ بالنظام السياسي الغربي خرجت كليًا عن تراثها وتقاليدها، فصارت دولة استعمارية توسعية واكتسحت شرق وجنوب آسيا كلها..

وبعد خسارتها في الحرب العالمية الثانية وضرب مدنها بالقنابل النووية، رجعت إلى تراثها القديم، ونفضت أيديها من تكوين جيش قوي، فقد كلفها ذلك خسارة لن تنساها.

أتيحت لي فرصة في زيارات متعددة لأفريقيا من شمالها للجنوب ومن الشرق للغرب، فكان مما سجلت: أن أمراض الحضارة الغربية تطحن القارة طحنًا فتنشر الفساد وعلى رأسه الرشوة والسرقة وانتشار (الإيدز) والمخدرات والخمور، كل ذلك مع جهل قاتل وفقر أسود لا مثيل له، وبطالة على أوسع نطاق، أما حضارة الغرب فلم تصل بعد.

لقد أتيح لي أن أسافر ما بين تركيا شمالاً وأقصى نقطة في جنوب أفريقيا، حتى وقفت على ملتقى المحيطات في رأس الرجاء الصالح، كما زرت إنجلترا غربًا وماليزيا شرقًا وما بينهما، وقد وجدت أمراض الحضارة تضرب ابتداءً من الفساد الخلقي إلى تهدم الأسرة، ومن انتشار الفقر إلى انتشار الفساد والسرقة، وهذه حقيقة موجعة ويصعب تجاهلها أو تبريرها..

وعودة للتراث فبعض آبائنا يعتقد أن هذا التراث هو سبب تأخرنا، ومن أجل التقدم لابد أن نهيل عليه التراب والتخلص منه، والسؤال: هل توجد سابقة بشرية بحيث تخلت أمة عن تراثها الحضاري وثقافتها كليا وحسب إرادتها وقناعتها؟

تحيز يجر الصراعات

من بـاب (كل فتاة بأبيها معجبة) فكل أمة معجبة بنفسها وثقافتها وجل ما عندها، لكن أن ترتفع الحرارة فتحتقر الآخرين وثقافتهم وحضارتهم وتاريخهم، من هنا تبدأ التوترات وتشتعل الصراعـات، ولعـل الأدهـى أن يفعل ذلـك (القـوي) ثم يغلف نظرتـه للآخريـن ليجعلها في خدمـة التقدم والحضـارة، وهي ليست كذلك ولا تقترب من ذلك.

يتحدث د. المسـيري[1] عن (التحيز) في المنهج والمصطلح فيعـد القضيـة (إشكالية) مهمة تواجـه أي (دارس) في الشرق والغـرب والشمـال والجنوب لكنها تواجهنـا في العالم (الثالث) بحـدة، فنحـن نعيش في بيئـة حضاريـة وثقافية لهـا نماذجها (الحضاريـة والمعرفيـة) المختلفة النابعة مـن تراثنا الحضاري ومـن واقعنا التاريخي، لكننا نواجه بنماذج تحاول أن (تفرض) نفسها على (واقعنا) بل على وجداننا وفكرنا.

فمنـذ نهاية القـرن (١٨) ومـع انتشار (الإنسـان الغربي) في أرجـاء العـالم، من خـلال (التشـكل الاستعماري الغربـي) وقيامه (بتدويل) نماذجه الحضارية والمعرفية، بدأ أيضًا ما يعرف بـ (الغزو الثقافي)، فالإنسان الغربي يفرض نماذجه هذه على (العالم).

---

(١) العالم من منظور غربي ص (٣٢).

هـذه النمـاذج أثبتـت (نفعهـا) في الغـرب في المجـالات الاقتصادية والسياسيـة، لكنها لها جوانب مظلمة بل (مدمرة) في مجالات أخرى، هذه النماذج ليس لها بالضرورة علاقة قوية بواقع شعوب العالم - غير الغربي - أي غالبية شعوب العالم، وهي لهذا السبب غير قادرة على (التفاعل) مع هذا الواقع، أو الإسهام في تفسـيره أو تغييره، بل ويؤدي تبنيهـا أحيانًا (لتدميره)، وزاد الأمر سوءًا أن (حضارة اليوم) أفرزت (الحضارة الاستهلاكية العالميـة)، وهـي حضارة نبعـت من النمـوذج (المعـرفي المادي الغربي) لكنهـا انفصلت عن (جذورها) وأصبحت (مستقلة في حركتهـا) لكنهـا - في تصوري - تقوم (بتقويض) كل الأشكال الحضارية، حتى الحضارة الغربية نفسها... ا.هـ.

تحيز وإعجاب بالنفس وما أنتجت، تثمر توترًا، يتحول إلى صـراع، تكـون الكلمة فيه للأقـوى، ثم يبدأ الأقـوى يتحدث عن نهايـات: نهاية التاريـخ، نهاية الجغرافيا، نهايـة الأدب.. شعور غريب يضرب إنسان الغرب في قلبه وعقله.

أفول وانحطاط

العـالم يسير نحو حـروب وكوارث وفق (رؤيـا يوحنا) - في نهايـة الأناجيل - وأن ثلث العـالم سيقتل كمقدمة لعودة (السيد المسيح).

مدير مركز الأبحاث الوطني الفرنسي (أندريه تاغييف) يستعرض في ٢٠٠٧/١/١م ما يؤمن به أنصار (المحافظون الجدد) ثم يعقب قائلا[١]:

منذ الثلاثينيات من القرن العشرين راح فكر (الأفول والانحطاط) ينتشر في المجتمع الفرنسي، حيث ربط الفرنسيون بين (التردي) وبين (الأمركة) حتى كثر الكلام عن انحطاط الأقوام التي تزاول (التجارة) يقصد (الانكلوسكسون) إذ نقل هؤلاء (عدوى التردي والانحطاط) للشعب الفرنسي (الحقيقي) والذي قوامه (فلاحون محاربون)..

ومنذ عام ١٩٦٠م انتبهنا للوجه الصناعي والبيروقراطي في كارثة (هيروشيما وناكازاكي) والإبادة الجماعية لليهود قبلها. فالحداثة لم تطوِ صفحة المجازر الجماعية، بل أباحت للبشرية (حرية تدمير نفسها).. في السبعينيات من القرن، جدد فكر (الأفول والتردي) عباراته مع نشوء حركة (مناوأة للسلاح النووي) فراحت الحركة (تندد) بالتقدم العلمي والتقني، فيذهب خبراء البيئة ودعاة المحافظة عليها إلى أن الإنسان هو (مرض الأرض)، ومن ثم فناؤه يخدم بقاء النوع البيولوجي، وهذا بعث لنظرية (مالتوس) إذ هناك من يحذر من (خطر فناء الجنس البشري)... ا.هـ.

(١) صحيفة الحياة ٢٠٠٧/٢/٧م (١٤٢٨/١/١٩هـ).

والسؤال: هل هذه نظريـة جديدة في تفسير التاريخ بحيث يمكن القول: إن الإنسـان باني الحضارة سيقوضها وينهيها كما بدأها، ومن يملك ابتداء يملك انتهاء؟

من الحب ما قتل!

الطلبـة العـرب من يبتعث منهـم للغرب يعتقـد أنه (جمع المجد من أطرافه).. ذات يوم قررت الحكومة العراقية أن تبعث طلبـة، فمن يدرس الطـب فإلى انجلترا، ومـن يدرس الهندسة فـإلى أمريكا، ومـن يدرس الزراعة فإلى مصـر، لكن الحكومة فوجئـت بأن كل من وجه لمصر يرفض ابتعاثه.. د. هاشم صالح ممـن جـرى ابتعاثـه للغرب، وهـو يسجـل تجربته ومـا رافقها فيقول[1]: كنـت أعتقد أن الحل يكمـن في الابستمولوجيا، وككل باحث عربي غادر بـلاده للغرب وجامعاتها، كنت مسحورًا بتلك النظرية التي أتاحت نشأة هذه الأمور في الغرب، وأتاحت التفوق علـى كافة الأمم ابتـداءً من القرن (١٦) وحتـى اليوم، ففلسفة العلـوم، أو فلسفة المعرفة هي التـي تدرس شروط إمكانية وجود المعرفـة الصحيحـة وتمييزها عن كل معرفـة خاطئة، فهي التي تبلـور معايير التقدم وطرائق الاكتشـاف والبحث العلمي، ولكن وبعـد مدة طويلة من (التيه والتخبـط) اكتشفت أن الحل يكمن أولًا في الثيولوجيـا وليـس في الابستمولوجيا، وفي (علم الكلام)

(١) الثقافة العربية في مواجهة الثقافة الغربية ص (٢٤).

علـم الله، علـم اللاهـوت، قبـل أن يكمـن في علـم الطبيعـة أو الفيزياء أو الرياضيات، عندئـذٍ فهمت أن تحرير السماء يسبق حتمًـا تحرير الأرض، بل لا جدوى من تحرير الأرض قبل تحرير السماء، هذه السماء التي تضغط كالسقف فوق رؤوسنا... ا.هـ.

د. هاشم صالح يطـرح (فكرة) تقول: العقيدة قبل العلوم والمعارف، وعلوم السماء مقدمة على الأرض..

الصراع يتطلب أعداء

هـل من متطلبـات (الصراع) وجود عـدو أو أعداء ليأخذ الصـراع مـداه؟ قبل الإجابـة أذكر بما كان معروفًـا لدى عرب الجاهلية أن من ينوي السفر يصنع (صنمًا) من تمر، فإذا جاع ولم يجد ما يأكل أكل (صنمه)..

صـراع الأفراد لا يحتاج لكن صـراع الدول والحضارات قد يفتقـد من يتصـارع معه، فيقوم الطرف المصـارع لتصنيع هذا العدو، ثم يتفنن الصانع بمنحه الأوصاف المناسبة مثل متوحش، متطرف، إرهابي، عدواني، عنصري، طائفي، والقائمة مرشحة للمزيـد مثل: الشيطان الأكبر، والـدول المارقة، وأعداء السلام، ونسيـت (عـدو الاشتراكيـة) وأعـداء عـودة (السيـد المسيح) والحاسـدون لأمريكا، وأعداء الحداثـة، ونسيت (اللاسامية)، اللعنة الجديدة..

المنصور يفسر التاريخ

أبو جعفر المنصور من خلفاء بني العباس المعروفين بجودة الثقافة، طرح يومًا سؤالًا: لماذا سقطت الدولة الأموية بسرعة؟ واستمع لإجابات لم تعجبه - كما يبدو - فأجاب عن التساؤل قائلًا: كان لبني أمية أصدقاء وأعداء، وهكذا جل الدول، أهملوا الأصدقاء ثقة بمودتهم، وتطلعوا لكسب الأعداء، فلا احتفظوا بالأصدقاء ولا كسبوا الأعداء.

رئيس ألماني سابق - أحسبه اشمدت - طرح نظرية ملخصها: يجب تحديد الأصدقاء والأعداء، ورسم السياسة وفقًا لهذه الصفة.

د. أحمد أوغلو - وزير الخارجية التركي - يقول: بعد انتهاء (الحرب الباردة) بدأت جبهات عدائية جديدة في الظهور على الساحة، حالة محل ذلك التطور المتميز، ففي العديد من (الخرائط الافتراضية) التي رسمتها الصحف لما يتعلق بالتوزيع (السياسي للقوة) خلال القرن (٢١) كانت الأصولية الإسلامية هي (التهديد الوحيد) الذي سيعوق (عولمة القيم) تلك التي تتبناها (الحضارة الأمريكية) وتحول دون قيام (أوروبا موحدة)..

تحليل فوكوياما يسير على هذه الوتيرة نفسها، بل يذهب لأبعد من ذلك فيرى: أن الإسلام تمكن بالفعل من (وأد) الديمقراطية اللبرالية في أجزاء عديدة من العالم الإسلامي، الأمر الذي يشكل (تهديدًا) صارخًا للممارسات اللبرالية، حتى أدخل دولًا لم تحقق الديمقراطية السياسية بشكل مباشر.. فقد أعقب (نهاية الحرب الباردة) ظهور تهديد (عراقي) ضد الغرب، حيث شكل الإسلام عنصرًا مؤثرًا بشكل لا يقبل الجدل..

هكذا فإن تصوير العالم الإسلامي كعدو محتمل قد برر (ثلاثة إجراءات) ضد الشعوب الإسلامية:

١- تبرير سياسة (القمع السياسي) ضد الجماهير المسلمة على أيدي النخب (السياسية الفاسدة الموالية للغرب)، وتحت تأثير مثل هذا (الضغط النفسي) وعمليات غسيل المخ، فقد مارست النظم العسكرية في الجزائر مثلًا: انتهاكًا لحقوق الإنسان، وكذلك القيام بإجراءات (شمولية) غير ديمقراطية، ولم توضع مثل هذه الأنظمة (العسكرية) موضع المناقشة، ولم يحصل ضدها مجرد (إدانة لفظية)، وظهر الأمر كما لو كان هناك منظومتين مختلفتين من القيم متناقضتين.

٢- حصول قمع متوحش عانت منه (الأقليات المسلمة) - الذي تعده القوى التي تزعم الدفاع عن حقوق الإنسان - لم تصدر

عنهـا مجرد (شـأن داخلي) لا يجوز التدخـل فيه، بل تركه للدول التي تعايشه الأقليات المسلمة.. فالمسلمون في (كشمير وجورجيا وكوسوفا) وأمثالها حرمت كليًا من (التمتع بعالمية القيـم الديمقراطية) بعد أن ذاقت الأمرين في تلك البيئات المعادية، بـل اتسع نطاق هذا الأسلوب ليصل إلى أن (قطاع الطـرق الصربيون) بعد قتلهم النسـاء والأطفال المسلمين، وصفوا بأنهم بصدد (إنجاز مهمة تاريخية) لحماية أوروبا من الأصولية الإسلامية، كما لو كان (مليون بوسني مسلم) قـد رزحوا دهـورًا تحت قمع حكومات، صـاروا قادرين على غزو أوروبا..

٣- لقـد تمثل عقد تحالفات (دولية ضد أي تهديدات إسلامية) فتجـد (سنتاتـور أمريكي) مثل (لاري برسلـر) - عضو في الحـزب الجمهوري - يصر خـلال زيارة للهنـد بداية عام ١٩٩٢م علـى أن اتحـادًا نوويًـا إسلاميًا يتكون مـن تسع دول في وسـط وجنوب آسيـا هو على وشك القيـام؛ مما سيهدد استقـرار (الهند) بشـكل خاص والاستقـرار العالمي بشكل عـام، ولا يـزال المحللون منكبين في محـاولات حثيثة لإثبات (الحزام الإسلامي) الممتد من تركيا إلى إيران وأفغانستان وباكستـان، مرورًا بخمس جمهوريـات سوفياتية - سابقة - هذه المنطقة مقدمة على التحول إلى (الأصولية)..!

مما يدهش أن هذا الحزام الإسلامي نفسه يحظى بالدعم والرعاية من قبل أمريكا، على أيام (الحرب الباردة) لضمان مصالح أمريكا.

بالمثل تطالب (صربيا) بتوسيع التعاون مع اليونان في منطقة (البلقان) بينما تعمل أرمينيا على (تهييج) المشاعر الدينية في الدول المسيحية الكبرى، بهدف كسب الدعم في حربها ضد (أذربيجان).. بالمثل تدعم إسرائيل (الهند) ضد الحركات الشعبية في كشمير والبنجاب، مع كل الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في فلسطين.. وهكذا يظهر (التحيز السافر) ضد العالم الإسلامي المدعوم (بتبسيط مخل) لمفاهيم الأصولية الإسلامية، بحيث يخفي وراءه (عدائية متعفنة) وبتحريض من الدول المجاورة للعالم الإسلامي..

هناك خلفية تاريخية ذات أبعاد نظرية و(خيالية) لمثل هذا (التحيز) ضد الأصولية الإسلامية - دون سواها - ولعل من أهم هذه التحيزات:

أ) أن الحضارة الإسلامية هي الوحيدة التي حظيت بمنزلة أرقى من الحضارة الغربية.

ب) مقاومة المجتمعات الإسلامية للأطماع الاستعمارية خلال القرنين (١٩، ٢٠) بينما رضخت مجتمعات أخرى أمام الغرب.

جـ) تسعى الجماهير المسلمة حاليًا من أجل إعادة صياغة ثوابتها الحضارية وثقافتها في عصر (العولمة الثقافية) واحتكارها. وهذا ما يفسر: لماذا يجري الحديث عن المسلمين بوصفهم عناصر (غير منسجمة) مع النظام العالمي؛ لذا فثمة شعور ينتاب الجماهير المسلمة بعدم (الأمان) فيما يتعلق بدور النظام العالمي الحالي، وذلك راجع لانتهاج سياسة (الكيل بمكيالين) والمعايير المزدوجة في القضايا الدولية.

فالأطماع (التوسعية لإسرائيل) يجري التسامح معها من قبل (النظام العالمي) - وبكرم كبير - بينما توصف الانتفاضة الفلسطينية بكونها (إرهابية) وكذلك فإن حركة (التمرد) في أوروبا الشرقية بأنها (انتصار للحرية).

حتى المنظمات الدولية تنتابها (حساسية مفرطة) تجاه الأقليات في بعض دول العالم، دون أن تكلف نفسها عناء (الشجب) لما تتعرض له (الأقليات المسلمة) في دول كالهند وبلغاريا وكشمير وبورما وأمثالها، بينما تعد دول مثل باكستان وكازاخستان، تشكل (خطرًا نوويًّا) على العالم، بينما لا تشكل إسرائيل مثل ذلك.

إن هذه الحقائق وأمثالها كثير تجعل الجماهير المسلمة تفقد الثقة بالنظام العالمي (كوسيط محايد)، خصوصًا في

الجرائـم التـي ترتكب في حـق الشعوب الإسلاميـة، وخصوصًا خلال (العقدين) الماضيين.

إن شعـور المسلمـين (بعدم الأمـان) هو أحـد الأسباب وراء ردود فعلهم تجاه الدور الذي يلعبه النظام العالمي المعاصر... ا.هـ.

بـات من المعلـوم أن (التجارب الديمقراطيـة) ابتداءً من نهايـة الحـرب العالميـة الأولى وإلى اليوم قتلـت واستبيحت عن طريق الانقلابـات العسكرية المخطط لها من الغرب والممول لها والمشجـع عليهـا حتى يومنا هـذا، خصوصًـا في العالمين العربي والإسلامي.

ويلاحـظ أن الغـرب عمومًـا وأمريـكا علـى وجـه أخص، لا تعترض على حاكم فاسـد مستبد ما دام يخـدم الغرب وخططه، لـذا يشهد العالم العربـي رؤساء دول أو رؤسـاء جمهوريات (مدى الحياة) ويسمح للحاكم بتزوير الانتخابات أو تقاطع المعارضة، ولا مـن يعترض، وإن جـرت معارضة فهي شكلية (لرفـع العتب) لكن الويل لمن يجدد أو يمدد في الرئاسة وهو غير محسوب على الغرب.

هنـاك روايـة عـن أخ لصدام أنـه جرى كشـف لأكثر من أربعـين محاولة للإطاحة بـ(صدام) وكان كل تنظيم يصل علمه للأمريـكان يذبح أهله من قبل نظـام صدام.. وهكذا حصل مع شـاه إيران وسوهارتو، وهناك حكام عرب منهم من قضى نحبه

ومنهم من ينتظر، فالذين يبكون على الديمقراطية لا يتذكرونها إلا إذا كان (عنتر) معاديًا للغرب وإسرائيل.

أما لوم إسرائيل فصار بفضل الفيتو الأمريكي من المستحيلات الكبرى، فكيف بمحاسبتها وعقابها، إسرائيل اليوم فوق القانون، تخيف الدول والأشخاص الكبار، لكنها لا تخاف ولا تهاب، ومع ذلك مطلوب منا أن نقدس النظام العالمي (المختل) وإلا فنحن ضد حضارة الغرب ومع الإرهاب والدول المارقة، والويل لمن كفره النمرود!

صراع حضارات أم بنيها؟

العالم تكثر بلابينه وتكثر وتتعاظم صراعاته، فهل هو بحاجة لصراعات جديدة؟

البعض استحدث (صراع الحضارات)، ومنهم فوكوياما..

المفكر والكاتب (وليام فاف) كتب مقالًا في صحيفة (الهيرالدتربيون) في ٢٠٠٢/١٢/٥م، تحت عنوان (توقفوا عن اعتبار الإسلام عدوًا) العنوان معبر وقد جاء فيه[1]: إن مجموعة من أهل الفكر في (واشنطن) يعملون على تحويل الحرب (ضد الإرهاب) - التي تشنها حكومة بوش، إلى حرب (ضد الحضارة

(١) صناعة العداء للإسلام، رجب البنا، ص (٣٨٣)، الطبعة الأولى.

الإسلامية وضد الإسلام) ومن هذه المجموعة شخصيات مؤثرة في الفكر والقرار السياسي في أمريكا، مثل: أليوت كوهين وكنيث اديلمان، مستشار هيئة السياسة في البنتاغون، وهذه المجموعة توجه (النقد) للرئيس بوش، لأنه يقول: إن الحرب الأمريكية موجهة ضد الإرهاب وليست (ضد الإسلام)، وهم يقولون: إن الإسلام نفسه هو عدو أمريكا، ذلك لأنه والحضارة الإسلامية يقومان على (التعصب وعلى معاداة القيم الغربية، وعلى دعوة الناس لدخول الإسلام وعلى التوسع بالقوة والعنف).

ويعتقد هؤلاء بأن الإسلام كان معاديًا (للغرب) قبل أن توجد إسرائيل، وأن الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي لا علاقة له بهذه الأزمة مع الغرب.

وهناك قطاع من (الإنجيليين البروتستانت) يؤكدون أن (الإسلام هو الشر).. إنهم يعجزون عن تفسير موقفهم (ضد الإسلام) أي ضد أكبر دين، حيث يبلغ اتباعه أكثر من (بليون) إنسان ينتشرون في الكثير من دول وأنحاء العالم.

إن الحكم على المسلمين يجري بحسب (الهوية) وليس بحسب السلوك؛ ولذا فالصراع والحرب حتمية.

إن المسلمين لا يتحملون مسؤولية (حكامهم المستبدين)، مثلما لا يتحمل الشعب الأمريكي مسؤولية ما تفعله حكومته في العالم.

إن التفكير بهذه الطريقة هو تفكير (عنصري) ينظر للهوية وليس إلى الفعل والسلوك...اهـ.

وإذا كان الإسلام وحضارته هما المسؤولان عن كره الغرب ومعاداة حضارته... إلخ، فمن كان وراء الكره السوفيتي للغرب الرأسمالي ولحضارته وكل ما أنتجته؟

وهل كان هتلر خليفة من خلفاء المسلمين الذي أشعل حربًا كونية ضد الغرب؟

وكيف يفسر هؤلاء المفكرون أن هناك في العالم نسبة جاوزت ٨٤٪ تعد أمريكا خطرًا على السلم العالمي[١]؟

عمر الإسلام اليوم (١٤) قرنًا.. فلماذا تأخر الكره حتى قامت أمريكا لينصب عليها؟

شهادة من جامعة هارفرد

هذه شهادة مصدرها أستاذان مختصان من جامعة هارفرد ليس أحد منهم عربي أو مسلم، لديهم شهادة موثقة (خطيًّا).

---

(١) أجرت شبكة (تايم يورب) استطلاعًا للرأي شارك فيه (٣٠٠) ألف إنسان حول الدولة التي تشكل خطرًا على السلم العالمي في ٢٠٠٣/٢/٢٨م فأجاب ٨٤٪ أن أمريكا هي الخطر الأكبر.

الأستاذان هما (جون ماشايمر وستيفن والت)، وهما أستاذان في العلوم السياسية في هارفرد بارزان، وهما يوجهان (لومًا شديدًا) لدور اللوبي الصهيوني في أمريكا (إيباك)، فهو الذي يرسم بشكل أساسي (السياسة الخارجية الأمريكية)، وهي سياسة تعادي (المصالح الأمريكية).

وتؤكد الدراسة الاتهامات الموجهة إلى المحافظين الجدد ودورهم في السياسة الأمريكية.. إن اللوبي الصهيوني (يضمن) استمرار أمريكا في اتباع سياسة (موالية لإسرائيل)، وتستخدم تهمة (اللاسامية) لإسكات كل الأصوات (المنتقدة) لإسرائيل، هذا وأن دعم (إسرائيل) ليس في مصلحة أمريكا، بل يساهم في زيادة (الصعوبات) أمام واشنطن فيما يسمى (الحرب على الإرهاب).

إن إسرائيل تشكل (عقبة) في وجه هذه الحرب، وكذلك التعامل مع الدول (المارقة).

إن مشكلة السياسة الأمريكية (ضد الإرهاب) تعود لتحالفها الوثيق (مع إسرائيل) وليس العكس، ولا يوجد مبرر (لقلق أمريكا) حيال إيران أو العراق أو سوريا، لو لم يكن لذلك صلة بعلاقة أمريكا (الوثيقة مع إسرائيل).

وأما المزاعم بأن إسرائيل تستحق (العلاقة الوثيقة) مع أمريكا بوصفها دولة (ديمقراطية حقيقية)، فهي مزاعم لا

أساس لها، فإسرائيل تستخدم (التعذيب) بحق الفلسطينيين، وهي وسائل لا تتفق مع القيم الأمريكية[1]... ا.هـ.

أحسب أنها شهادة يصعب الطعن فيها، وإن كان الذين استحوا ماتوا، والبركة في (المنافقين) وما أكثرهم اليوم، لا بارك الله فيهم.

شهادة غير متوقعة من فوكوياما

فوكوياما الياباني الأصل الأمريكي الجنسية وصاحب نظرية صراع الحضارات، له شهادة تستحق التسجيل، فهو يقول بصراحة تامة[2]: (التشدد منا وليس من الإسلام)، هذه الشهادة مما يصعب الطعن فيها أيضًا، يقول فوكوياما: إن مؤرخين معاصرين أمثال: آلان ورويا وأيورماند يقولون: إن كثيرًا من أفكار (الإسلام الراديكالي) المتطرف لم تأتِ من معين الإسلام، بل استمدت أصولها من أفكار ونظريات وتجارب الغرب، من أمثال الفاشية إلى الماركسية... وهذا ليس من صدام الحضارات، بل في الأقرب لما ظهر في القرن العشرين..

(١) صحيفة الحياة في ٢٠٠٦/٣/٢٢م (١٤٠٧/٢/٢٢هـ).
(٢) أمريكا على مفترق الطرق، عرض محمد الخولي، مجلة البيان الإماراتية لعام ٢٠٠٦م.

إن (أخطر البشر) ليسوا المسلمين (الأتقياء) في الشرق الأوسط، بل هم شباب يعاني (التهميش وانقطاع الجذور والاغتراب) في هامبرغ ولندن وامستردام، ممن ينشدون تحت شعار (الجهاد) هذه المرة إجابة على بحثهم الشخصي عن (الهوية)، وقد سبقهم لذلك الجماعات الفاشية والماركسية..

إن أمريكا لن تكون في مقدمة (التعرض للخطر) من سكانها (المسلمين)، كما هي حال أوروبا (المهددة)، وإن الديمقراطية لن تكون (الحل الناجح) في المدى القصير (لمشكلة الإرهاب)، فقد هوجمت مجتمعات ديمقراطية في كل من: أسبانيا وانجلترا وهولندا، والحل سيكون في (دمج الشباب الساخط المغترب) في صلب الحركة والحياة الطبيعية في تلك المجتمعات الأوروبية... ا.هـ.

بعد هذه الشهادة الواضحة، يتساءل فوكوياما: لماذا يكرهوننا؟

هذا السؤال طرحه أكثر من رئيس أمريكي وآخرهم بوش (الابن) ويزيد: لماذا يكرهوننا ونحن طيبون؟

يجيب فوكوياما بصراحة تامة: استطلاعات الرأي العام تفيد أن (السواد الأعظم من المسلمين لا يكرهون أمريكا ولا الغرب)، لكنهم يكرهون السياسة الخارجية التي تتبعها أمريكا،

ويرون أنها تؤيد إسرائيل (على طول الخط وضد الفلسطينيين) كما تساند (حكامًا مستبدين) على حساب الديمقراطية، وهذه رسالة لا يريد سماعها (جمهرة الأمريكيين) ومعهم كثير من (المحافظين الجدد) بالذات، وهم الذين كانوا يضغطون باتجاه (غزو العراق)..

والمشكلة أن انتهازية هذه الخطوة قد ارتدت (سهمًا) أصاب إدارة بوش نفسها - بعد الحرب - عندما اتضحت كذبة (أسلحة الدمار الشامل)، فلم تعد تثق في أمريكا، بل قيل: إن الدوافع كانت (البترول ومصلحة إسرائيل)... ا.هـ.

شكرًا لفوكوياما على هذه الصراحة وهذا الوضوح الجيد..

شهادة أخيرة مميزة!

شاعر عربي لوذعي رسم صورة لقضية اجتماعية حيث قال:

ولا يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

لكن البعض يفلسف ويقول: شدة الظهور قد تورث نوعًا من الخفاء.

المفكر الشجاع (إيما نويل تود) له مؤلف جيد يتحدث فيه عن (ما بعد الإمبراطورية) فيدرس الموقف الأمريكي من العرب

وإسرائيل، ويحاول تفسير هذا الموقف الشاذ - بكل أبعاد الشذوذ - فيقول[1]: إنه لأمر غريب أن يرى الإنسان أهمية (العلاقة مع إسرائيل) إلى جانب علاقة معادية شاملة لأمريكا مع العالم العربي وبصورة أوسع مع العالم الإسلامي، إن (عقلانية) هذه العلاقة ومنفعتها أمر عسير، فأطروحة التعاون الضروري بين (الديمقراطيات) غير مقنعة، والظلم الذي يرتكب ضد الفلسطينيين كل يوم من جانب الاحتلال الإسرائيلي، لما تبقى لهم من الأرض، هذا بحد ذاته نفي (لمبدأ المساواة) الذي هو أساس (الديمقراطية)، أما الديمقراطيات الأخرى، وعلى وجه الخصوص الأوروبية، لا تحمل لإسرائيل التعاطف، دون أي عقل - كما تفعل أمريكا -.

ولعل (المنفعة العسكرية) للجيش الإسرائيلي تشكل تفسيرًا أكثر جدية، فضعف القوات (البرية الأمريكية البطيئة)، التي تأنف أكثر فأكثر من تحمل (خسائر بالأرواح) يستدعي بصورة متزايدة للاستخدام المنهجي (للقوات الحليفة أو المرتزقة) في العمليات على الأرض، ونتيجة (الإرهاق) الذي تجلبه الرغبة في السيطرة على (الريع النفطي)، فإن حكام أمريكا لا يجرؤون على التخلي عن الدعم (الإقليمي) الذي يقدمه إليهم الجيش الإسرائيلي، الذي يعد (أقوى جيش في المنطقة)... ا.هـ.

---

(١) ما بعد الإمبراطورية، إيما نويل تود، ص (١٣٧)، الطبعة الأولى.

تـود الشجـاع يعتقـد أن النشـاط العسكـري الأمريكـي (سيتركـز) مستقبلًا على العالم الإسلامي تحت شعار (الحرب ضد الإرهـاب)، ويصفه بأنه الشكل الأخـير للمسرحية، وخلف ذلـك جملة عوامل تعود لتراجع بعض موارد الإمبريالية لأمريكا في المجالات الأيديولوجية والاقتصادية والعسكرية.. فهي تبحث عـن عنصر معروف بضعفـه العسكري الشديـد، كي تجعل منه هدفًا سهلًا مفضلًا..

إنهـا تهاجم العـراق الذي أنهكه الحصـار وأهلكه النظام المستبـد المكروه، وتهاجـم أفغانستـان التي تنتمي لـدول العالم (الرابـع وليس الثالث)، لكنها تفشل فشلًا ذريعًا في إبعاد حاكم مثل (كاسترو) وتجامل كوريا الشمالية، أما الصين فتغازلها ليل نهار، لقد حققت أمريـكا المثل الشعبي العراقي (أبي لا يقدر إلا على أمي) وأحيانًا يعجز!

ومن هذا حاله فهل يقدر على قيادة العالم وإدارة الصراع المناسـب، أم سيـوكل بعض ذلـك لإسرائيل وجيشهـا (المراهق عسكريًا)؟

أعتقـد أن أمريكا تبحـث عن نظم فاشلـة فاسدة مكروهة لتهاجمها، ثم تبرز عضلاتها وتقول: هل من منازل؟